

تنظيرات ومقارنات حول: فصحي العامية في المغرب والأندلس

الأستاذ عبد العزيز بنعبدالله

قال : « لعل الدخيل كان نادراً في أرض الأندلس لأن الامويين توخوا الوحدة في كل شيء » إلى أن قال : « وكانت اللهجة الاندلسية من أجمل اللهجات تلقيناها أهلها بعد الجلاء إلى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام ولعلها كانت للتربيتين الفصحي اشبه باللهجات اليمنية والعجماء ، والأندلس استعملت الفاظاً فميسحة ما استعملها العراق ومصر والشام » .

ونريد ان نقصر اليوم تنظيراتنا على لهجتي المغرب والأندلس لثامن من خلال هذه المقارنات كيـنـ ان لهجـةـ المـغـرـبـ كـانـتـ أـقـرـبـ إـلـىـ الفـصـحـيـ منـ مـنـذـ الـقـرـنـ الرابعـ المـجـريـ وـسـيـكـونـ مـصـدـرـ بـحـثـنـاـ كـتـابـ «ـ لـهـنـ العـوـامـ »ـ لـلـعـلـمـةـ الـلـفـوـيـ الـكـبـيرـ أـبـنـ بـكـرـ مـحـمـدـ بـنـ حـسـنـ أـبـنـ مـدـحـعـ الرـبـيـديـ (ـ 316ـ هـ - 379ـ هـ)ـ وـقـدـ صـلـرـ هـذـاـ الـكـتـابـ (ـ 1964ـ)ـ فـيـ سـلـسلـةـ كـتـبـ «ـ لـهـنـ الـعـامـةـ »ـ بـاـشـرـافـ الـدـكـتـورـ وـمـضـانـ مـبـدـ التـوـابـ أـسـتـاذـ الـآـدـابـ بـجـامـعـةـ مـيـنـ شـمـسـ .

والربـيـديـ هـذـاـ اـشـبـيـلـيـ اـنـدـلـسـيـ أـصـلـهـ مـنـ حـمـصـ الشـامـ وـهـوـ مـنـ تـلـمـذـةـ أـبـنـ عـلـيـ القـالـيـ الـفـنـادـيـ فـيـ اللـفـةـ وـالـشـعـرـ رـوـيـ هـنـهـ كـثـيرـاـ فـيـ كـتـابـهـ «ـ لـهـنـ العـوـامـ »ـ وـمـنـ تـلـمـذـةـ الـرـبـيـديـ اـسـمـاعـيلـ بـنـ سـيـدـهـ وـالـدـ عـلـيـ أـبـنـ سـيـدـهـ الـمـشـهـورـ صـاحـبـ «ـ الـمـخـصـمـ »ـ وـقـدـ وـصـفـ الـرـبـيـديـ فـيـ كـلـ مـنـ «ـ طـبـقـاتـ أـبـنـ شـمـبـةـ (ـ 2 / 37ـ)ـ وـالـوـانـيـ بـالـوـنيـاتـ (ـ 3 / 251ـ)ـ بـاـنـهـ «ـ شـيـشـ الـلـفـةـ »ـ

سبق ان نشرنا دراسة واسعة عن «ـ الـأـصـولـ الـعـرـبـيـةـ وـالـاجـنبـيـةـ لـلـعـامـيـةـ الـمـفـرـيـيـةـ »ـ منـظـرـينـ بـيـنـ فـصـحـيـ الـعـامـيـاتـ فـيـ كـثـيرـاـ مـنـ الـاقـالـيمـ وـالـاقـطـارـ الـعـرـبـيـةـ (ـ سـوـرـيـاـ - لـبـانـ - مـصـرـ - الـخـلـيجـ الـعـرـبـيـ)ـ وـقـدـ رـكـزـنـاـ خـاصـةـ عـلـىـ مـقـارـنـةـ بـيـنـ الـلـهـجـةـ الـدـارـجـةـ فـيـ الـمـغـرـبـ وـالـلـفـةـ الـفـصـحـيـةـ وـفـرـبـنـاـ مـاـتـ الـإـمـلـةـ الـدـلـالـةـ عـلـىـ أـصـالـةـ هـامـيـتـنـاـ وـقـدـ مـشـرـنـاـ فـيـ كـتـبـ الـلـفـةـ الـقـدـيمـةـ بـعـدـ صـدـورـ ذـلـكـ الـبـحـثـ عـلـىـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ الـمـفـرـدـاتـ الـتـيـ حـرـفـتـهـاـ الـعـامـيـةـ تـحـرـيفـاـ يـسـيرـاـ وـتـرـجـعـ إـلـىـ صـلـبـ الـفـصـحـيـ وـيـعـضـهـاـ بـأـلـدـ مـنـ أـعـماـقـ الـلـسـانـ الـجـاهـلـيـ الـدـلـيـ هـذـلـ مـنـ اـسـتـعـمالـهـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـاضـرـ وـزـدـنـاـ تـرـكـيـزـاـ لـهـذـهـ الـفـكـرـةـ بـفـرـبـ مـثـلـ حـيـ بـالـلـهـجـةـ الـرـائـجـةـ فـيـ نـاحـيـةـ زـيـرـ الـوـاقـعـةـ عـلـىـ أـبـوـابـ هـامـسـةـ الـرـيـاطـ مـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ الدـخـيلـ فـيـ الـعـامـيـةـ الـمـفـرـيـيـةـ كـانـ قـلـيلاـ إـذـ اـسـتـشـنـيـنـاـ مـجـمـوعـاتـ ضـئـيلـةـ اـنـتـقلـتـ مـنـ طـرـيقـ الـفـصـحـيـ مـنـ الـفـارـسـيـةـ وـفـيـ الـمـهـودـ الـاخـيـرـ مـنـ الـإـسـبـانـيـةـ وـالـفـرـنـسـيـةـ وـقـدـ قـدـنـاـ بـمـحاـوـلـةـ جـرـيـئةـ اـسـتـهـدـنـاـ بـهـاـ اـسـتـخـلـاـصـ بـعـضـ الـقـوـادـمـ الـتـيـ دـوـجـتـ عـلـيـهـاـ الـلـهـجـةـ الـعـامـيـةـ الـمـفـرـيـيـةـ فـيـ جـوـلـاتـهاـ قـيـاسـاـ عـلـىـ الـفـصـحـيـ وـعـلـىـ بـعـضـ الـعـامـيـاتـ فـيـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ وـبـالـأـخـصـ سـوـرـيـاـ وـإـذـ اـسـتـعـمـلـنـاـ الـمـفـرـدـاتـ الـإـنـدـلـسـيـةـ الـتـيـ وـصـلتـ الـبـنـاـ مـحـرـفةـ مـنـ أـصـلـهـ الـعـرـبـيـ وـجـدـنـاـهـ الـقـرـبـ فـيـ بـنـيـتـهـاـ وـشـكـلـهـاـ مـنـ دـارـجـةـ الـمـغـرـبـ تـالـدـخـيلـ فـيـهـاـ قـلـيلـ وـقـدـ تـحدـثـ الـإـسـتـاذـ الـكـبـيرـ كـرـدـ مـلـيـ مـنـ «ـ مـجـالـبـ الـلـهـجـاتـ »ـ (ـ 1ـ)

- 2) دشيش .. والصواب جشيش (20) .
- 3) يقولون لواحد الذبان ذبابة .. والصواب ذباب (31) .
- 4) يقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط بالارض خرشف .. والصواب حرف (ص 37) .
- 5) يقولون لشجر يكون في الجبال عمراء .. والصواب عمراء (ص 48) .
- 6) يقولون حنن يده .. والصواب حنا يديه (ص 52) وهو المستعمل عندنا بال المغرب الاقصى وبذلك يكون المغرب هنا اتراب الى الفصحى من الاندلس .
- 7) ويقولون للنبت الذي يصبح به الشياط فوة (بالفتح) .. والصواب فوة (بالضم) (ص 63) (مثل المغرب) .
- 8) قرنفل بضم الراء .. والصواب قرنفل (بالفتح) (ص 64) .
- 9) يقولون فلان مدهول .. والصواب ذاهل (ص 65) وهو المستعمل بال المغرب .
- 10) ويقولون لواحد الكلى كلبة .. والصواب كلبة (ص 67) .
- 11) ويقولون للظرف الذى يوضع فيه افواه العطر واسناف الحلي حكة .. والصواب حق (ص 68) (حك بال المغرب) .
- 12) ويقولون مقداف السفينة .. والصواب المجداف (ص 69) .
- 13) ويقولون حلقة للنبت الذي يتخذ منه الحال .. والصواب حلقة (بالتحريك) (ص 70) .
- 14) ويقولون للاناء المتخد من الصفر سطل .. والصواب سيطل (ص 75) .
- 15) ويقولون للحديدة التي يقطع بها ويحلق موس ويعدون فيجمعونها امواسا .. والصواب موسى (ص 78) .

والمرية بالأندلس » كما لقبه الفتح بن خاقان (2) بامام اللغة والاعرب ابن خلكان (3) بـ « أوحد مصره فى علم النحو وحفظ اللغة » وهو ايضا فى نظر التعالبي (4) « حفظ اهل زمانه للامراب والفقه واللهجة والمعانى والنواذر » وقد لخص المقرى هذه الانظار كهذا يقوله (5) : « هو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق » .

وقد كتب الكثير فى اخطاء العام والخواص ونجزىء الان بذكر اربعة كتب مخطوطه فى دار الكتب المصرية منها :

- 1) درة الغواص فى اوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (516 هـ) مع تكميلتها لابن منصور الجوالبى (540 هـ) .
- 2) رسالة فى اغلاط العام للسيوطى (911هـ) مرتبة على حروف المعجم .
- 3) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه لابن كمال باشا احمد بن سليمان (940 هـ) (معجم رقم 348 لغة) .

4) « تقويم اللسان » لابن الجوزي (597 هـ) وقد نشرنا قسما منه فى العدد الاخبارى من مجلة « اللسان العربى » ومصدر كاملا باشراف الجمع العامى العربى ببغداد كما سبق ان نشرت مجلتنا « اللسان العربى » (العدد الثانى) دراسة حول العامية فى « المغرب والأندلس » استعرضت المصادر المغربية فى هذا المجال « كانشاد الضوال واوشاد السؤال » (6) وتنص من مائة مثال اوردها الريبى فى كتابه بالنسبة للقرن الرابع الذى هو المصر الفنى فى حقب تطور اللغة العربية - ان الكثير من الفاظ العامية المغربية اقرب الى اللسان الفصحى - بنية وشكل - من الدارجة الاندلسية :

وهاكم هذه الامثلة :

- 1) بزيم للحديدة التي تكون فى طرف حرام السرج او المنطة .. والصواب ابريم (ص 15) .

- 2) مطعم الانفس 53 / 23 .
- 3) وفيات الاعيان 1 / 514 .
- 4) بنتيمة الدهر 1 / 409 .
- 5) نفح الطيب 5 / 24 .

6) سماء السبوطي فى بقية الوعاة من 82 بلعن المامدة .